

الحقيقة المطلقة

الله والدين والإنسان

دكتور مهندس

محمد الحسينى إسماعيل

B. Sc. (Elect. Eng.) ; M. Sc. (Comp. & System Analysis)

PH. D. (Elect. Power & Mach.) , Cairo Univ.

PH. D. (Elect. Eng.) , Iowa State Univ. (USA) - Consultant Engr.

Formerly; Senior Member, IEEE (USA)

Active Member, Academy of Sciences, New York (USA)

Int. Mem., the American Association for the Advancement of Science (USA)

دكتوراه فى هندسة القوى والمحركات - كلية الهندسة - جامعة القاهرة (جمهورية مصر)
دكتوراه فى الهندسة الكهربائية - كلية الهندسة - جامعة ولاية أيوا (الولايات المتحدة الأمريكية)
حائز على وسام الجمهورية (من الطبقة الثانية) - مهندس إستشارى
سابقا ؛ عضو (متميز) بجمعية المهندسين الأمريكية الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية)
عضو (نشط) بأكاديمية العلوم الأمريكية - نيويورك (الولايات المتحدة الأمريكية)
عضو (عالمى) بجمعية تقدم العلوم الأمريكية (الولايات المتحدة الأمريكية)

اسم الكتاب : الحقيقة المطلقة : الله
والدين والإنسان

اسم المؤلف : دكتور مهندس / محمد
الحسيني إسماعيل

الطبعة الثانية : مزيدة ومنقحة

مكتبة وهبة : 14 شارع الجمهورية .
عابدين . القاهرة .

الصفحة : (17 × 24 سم)

عدد الصفحات : 667

رقم الإيداع : 95 / 9131

الترقيم الدولي :

ISBN: 977 - 00 - 9146 - 4

تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف . غير
مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو
أي جزء منه ، أو تخزينه على أي أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكترونية ، أو
ميكانيكية ، أو نقله بأي وسيلة أخرى ، أو
تصويره ، أو تسجيله على أي نحو ، بدون
أخذ موافقة كتابية مسبقة من المؤلف .

All rights reserved to the Author. No
part of this publication may be
reproduced, stored in a retrieval
system, or transmitted, in any form or
by any means, electronic,
mechanical, photocopying, recording,
or otherwise, without the prior
written permission of the Author.

II

N

- مقدمة الطبعة الثانية (1)
مقدمة الطبعة الأولى / وتمهيد أساسي لبيان علاقة المنهاج العلمي بالقضية الدينية
(2 - 12)

الفصل الأول

- الدوافع ... (13 - 58)

[بداية وإعراض (13) - أمل يتضاءل (19) - دراسة دين (21) - التحول (27) - العودة والتوسع فى دراسة الأديان (28) - الفكر التبشيري عن قرب (33) - الدوافع (41) - موقف الكنيسة من التطور الفكرى (51) - الخاتمة (56)]

الفصل الثانى

- الدين وظاهرة التعدد (280 - 59)

[المقدمة (59) - الدين والمدرسة التجريبية (65) - الدين والتحليل النفسى (69) - الأنماط الفكرية والتدين المستتر أو الزائف (75) - الفطرة والحد الأقصى للمعرفة الإلهية (78) - قصور الفكر البشرى (89) - الوعى الفطرى بوجود الله وظاهرة تعدد الأديان (105) - " قضية دينية " أم " قضية علمية " (117) - الدين : " قضية غيبية " أم " قضية يقينية " (130) - كلمة حول الأدلة العقلانية للبرهنة على وجود الله (146) - الأدلة العقلانية للبرهنة على وجود الله (155)]

{ برهان العلة الأولى (156) - دليل (أو برهان) أن العالم حادث .. (156) - .. دليل أن للعالم أول (160) - .. دليل أن للعالم صانع (160) - .. دليل أن الإنسان أكبر حجة .. (160) - .. دليل الحركة

والمحرك الأول (160) - البرهان الأخلاقي (170) - البرهان الغائي (177) - الجدل النازل والجدل الصاعد (184) - البرهان الإجتماعي (193) - برهان " المثل الأعلى " ... (196) - الله موجود إذن أنا موجود (200) - الإعتراض على وجود الله بوجود النقص والشر في الكون (201) {

" ظاهرة التبرير " أو التداخل والتضحية بالعقل (206) - الدين والقصور الحالي في تعريفه (220) - قانون الخلاص الفطري (231) - الخلاص في الفكر الإسلامي (238) - تعريف الدين (243) - حلقة لانهائية (252) - " الدين مصدر الإله " أم " الإله مصدر الدين " (كلمة حول معنى التعدد والتوحيد) (257) - الحد الأدنى (266)]

الفصل الثالث

التجربة البشرية مع الديانتين : اليهودية والمسيحية / (الأنبياء - النصوص - الفكر الإلهي) (281 - 487)

الكتاب المقدس في كلمة موجزة (285)

[أولا : العهد القديم (287) - شجرة أسفار الكتاب المقدس (288) - ثانيا : العهد الجديد (293)]

المجامع الكنسية وتشكيل فكر العقيدة المسيحية (295)

[مجمع نيقية المسكونى الأول عام 325 م (297) - مجمع صور عام 333 م (300) - مجمع لودييسيا عام 364 م (302) - مجمع القسطنطينية المسكونى الأول عام 381 م (302) - مجمع روما عام 382 م (304) - مجمع قرطاج بتونس عام 397 م (304) - مجمع قرطاج بتونس عام 419 م (305) - مجمع أفسس المسكونى عام 431 م. (305) - مجمع خلقدونية عام 451 م. (306) - مجمع القسطنطينية المسكونى الثانى عام 553 م (307) - مجمع القسطنطينية المسكونى الثالث عام 680 م (307) - مجمع نيقية الثانى عام 787 م (308) - مجمع القسطنطينية المسكونى الرابع عام 869 م (311) - مجمع القسطنطينية عام 879 م (311) - مجامع إقليمية خاصة بالكنيسة الغربية (312) - مجمع ورمز بألمانيا عام 1521 م . (313) - مجمع ترنت عام 1546 م . (314)]

الأنبياء والقوة الأخلاقية فى الكتاب المقدس (317)

[يهوذا (النبى) أب السلالة اليهودية يزنى بزوجة ابنه ... (320) - لوط (النبى) يزنى بابنتيه ... (324) - داود (النبى) يزنى .. ويقتل .. (327) - أمنون (ابن داود) يزنى بأخته ثامار .. (332) - أبشالوم (ابن آخر لداود) يقوم باغتصاب كل زوجات أبيه .. (335) - راوبين (ابن يعقوب البكر) يزنى بزوجة أبيه .. و .. أسماء .. أبواب .. المدينة المقدسة .. مسكن الله .. (336) - سليمان الحكيم تنتهى حياته بالشرك (342) - هارون النبى .. ينتهى بإضلال الشعب وعبادة الأصنام (343)]

النصوص (347)

[نصوص جنسية صارخة (347) - إنصروا آلهمكم .. أو التناقض مع رد الفعل الفطرى (355) - الأخنتين الزانيتين .. (359) - ونصوص تدعو وتوصل للخيانة الزوجية (361) - ونصوص أسطورية عن الوحي (362) - وللسب نصوص أيضا ... (364) - ونصوص يترادف فيها اسم " الله " واسم " الشيطان " (365)]

الفكر الإلهى فى الكتاب المقدس (367)

" الله فى العهد القديم " أو " الله فى الديانة اليهودية " (371)

[أفعال جزافية للإله ، وفكر أسطورى عن العلم (372) - الإله يوجهه " الإنسان " .. (376) - " الإله " لا يراه أحد ويعيش .. (378) - ثم يأتى " الله " جهارا إلى إبراهيم .. (379) - ثم يمسك يعقوب " الله " .. (382) - و " الإله " حاقدا وساخط .. (387) - ويخلق " الإله " شعر رأسه .. وينزع لحيته .. فى المناسبات (388) - ويتصاعد الدخان من أنف " الإله " .. (390) - ويركب " الإله " الملائكة الصغيرة ويطير بها (391)]

الله فى العهد الجديد (أى الجزء الثانى من الديانة المسيحية) (394)

[قصة الفداء والصلب .. (398) - ومزيد من الفكر الوثنى .. (424) - الخلاص الإنسانى فى الفكر المسيحى (429) - جنة الخلد / أورشليم السمائية (436) - هل مازال تعريف الكتاب المقدس مستمرا حتى الآن ؟ (438) - وتبقى كلمة أخيرة عن العلم والبرهان العلمى فى الفكر المسيحى (443)]

(بعض) الأئمة والتطبيق (449)

ونصوص لكل الأغراض (456)

[نصوص فى الغدر والقتل والنهب والسبى (456) - ونصوص فى استعباد وتملك البشر (459) - ونصوص فى الإبادة ولعنة المدن (مدينة أريحا مدينة ملعونة ..) (460) - ونصوص فى البغض والكراهية وتفكك الأسرة (462) - ونصوص فى ذبح الأعداء والمخالفين بمباركة الرب الإله (465)]

وبعض التطبيقات التاريخية لنصوص الكتاب المقدس (468)

[محاكم التفتيش ... (469) - الحروب الصليبية ... (473) - مذبحه سان بارثلميو (476) - مذبحه الألبيجيين (478)]

وبعض شروط أخرى للخلاص (479)

ملاءة فوق الأديان (482)

الفصل الرابع

رد فعل التجربة الدينية للمسيحية واليهودية .. عند العلماء والمفكرين والفلاسفة
(600 - 488)

رد الفعل الديني لدى العلماء والمفكرين والفلاسفة (490)

وتعود دورة الحياة للتكرار (511)

الفلسفة منذ نشأتها وحتى الفلسفات المعاصرة (ولماذا الفلسفة ؟) (517)

العصر الشرقي القديم / عصر ما قبل الفلسفة اليونانية القديمة (520)

الفلسفة اليونانية القديمة (521)

[المرحلة الأولى : ما قبل سقراط (521) - الفلسفة الأيونية (522) - الفلسفة الفيثاغورسية (522) -
الفلسفة الهيرقليطية (523) - الفلسفة الإيلية (524) - المرحلة الثانية : مرحلة سقراط (524) - الفلسفة
السوفسطائية (524) - الفلسفة السقراطية (526) - الفلسفة الأفلاطونية (528) - الفلسفة الأرسطوطاليسية
(529) - المرحلة الثالثة : ما بعد سقراط (530) - الفلسفة الرواقية (531) - الفلسفة الأبيقورية (532) -
الفلسفة الشكية (532) - الفلسفة الأفلاطونية الجديدة (533)]

فلسفة العصور الوسطى (534)

[الفلسفة الأوغسطينية (535) - الفلسفة الأكوينية (537)]

فلسفة عصر النهضة (537)

الفلسفة الحديثة (541)

[الفلسفة العقلية (542) - الفلسفة الحسية (545) - فلسفة التنوير (548) - الفلسفة الرومانسية (549) -
الفلسفة النفعية أو المنفعية (549) - الفلسفة الكانطية (551) - الفلسفة المثالية أو الهيجيلية (551) - الفلسفة
المادية (553)]

الفلسفة المعاصرة (556)

[فلسفة الظواهرات (557) - الفلسفة الوجودية (559) - الفلسفة اللغوية (563) - الفلسفة الوضعية
المنطقية (563) - الفلسفة البراجماتية / فلسفة الذرائع (565) - الفلسفة التحليلية (566)]

ثم ماذا قدمت الفلسفة للفكر البشرى بعد آلاف السنين ..!؟ (567)

[اللأدرية (568) - العالمية (568) - الإلحاد (568)]

ونظرات حول الفكر الفلسفى والفكر الإلهى (570)

بين الدين والفلسفة (587)

خاتمة الكتاب (601 - 606)

ملاحق الكتاب

الملحق الأول : الكلمات الإلهية (609 - 610)

الملحق الثاني : التواريخ التقريبية لتدوين أسفار الكتاب المقدس (611 - 613)

الملحق الثالث : أنبياء بني إسرائيل على حسب المعتقد اليهودي (614)

الملحق الرابع : كلمة موجزة عن : قصة خلق الإنسان (النظرية الدارونية ونظرية المعرفة كما جاء بهما القرآن المجيد) (615 - 641)

[النظرية الدارونية (615) - نظرية التطور كما جاء بها القرآن المجيد (620) - نظرية المعرفة كما جاء بها القرآن المجيد (633) - الابتلاء أو الاختبار (636)]

الملحق الخامس : لفظ الجلالة الله (I) وموقف الكنائس العربية من هذا الإسم (642 - 649)

الملحق السادس : مباحث الفلسفة ومشكلاتها الأساسية (650 - 653)

قائمة ببعض المراجع المختارة (654 - 657)

قائمة بمؤلفات الكاتب (658)

مقدمة

الطبعة الثانية

بعد نفاذ الطبعة الأولى من كتاب : "الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان" ، وانعقاد العزم على إصدار الطبعة الثانية ، تم مراجعة الطبعة الأولى وعمل بعض التعديلات الهامة التالية :

1. تم التوسع فى ذكر بعض المذاهب الفلسفية كالعدمية والعبثية وخلافه لتكاملية الكتاب ، كما تم التوسع فى ذكر بعض التعاريف الأكاديمية والأساسية الأخرى .
2. تم عرض العقيدة الألفية السعيدة بتفصيل ونشأتها بدلا من الإشارة إليها سابقا .
3. تم عمل بعض التعديلات الطفيفة فى سياق بعض البراهين السابقة .
4. تم التوسع فى الردود على التساؤلات التي وردت على بعض فقرات الكتاب السابق ، والتوسع فى التعليقات والتنبيهات بإضافات أكاديمية هامة . كما تم إضافة ملحقين هامين (الثالث والخامس) .
5. تم تكبير " فونت : Font " الكتابة ، حيث كان صِغَر الـ " فونت : Font " فى الكتاب السابق مثار شكوى من بعض السادة القراء .
6. تم تلافى الأخطاء المطبعية السابقة ، كما تم تشكيل آيات القرآن المجيد المستخدمة فيه .. وكذا تشكيل فقرات الكتاب المقدس .. بنقلها من مصادرها مباشرة .

ثم تبقى ملحوظة أخيرة أساسية وهامة ؛ حيث كانت النية متجهة إلى تجزيء هذا الكتاب إلى جزئين كنوع من التسهيل على القارئ العربي الذي كاد أن يهجر القراءة ، ولكنى عدلت عن هذه الفكرة لأن هذا سوف يخل بتكاملية الكتاب الفكرية .. لذا أقدم اعتذاري للقارئ .. لأنى سبق وأن نوهت بأن الطبعة الجديدة من هذا الكتاب سوف تصدر فى جزأين .. وليس فى صورة الكتاب الواحد المتكامل الحالي .. على النحو السابق إصداره ..

وفيما عدا هذا فالكتاب يجرى على نفس النسق السابق .. والله الموفق والمستعان ..

مقدمة الطبعة الأولى

وتمهيد أساسي

لبيان علاقة المنهاج العلمي بالقضية الدينية

من البديهي كلنا يعلم أن هذا الصرح العلمي الشامخ الذي نعاصره اليوم ، قد تم بناؤه بتعاون بنى الإنسان ، ليس فى زمن معين فحسب ، وليس فى حضارة معينة فحسب ، بل تم بناؤه على مر الأزمنة والسنين والحضارات .. وقد شاركنا نحن جميعا - بنى الإنسان - فى بناء هذا الصرح الهائل من العلم . وجميعنا الآن يتمتع بنتائج عمل آخرين ليس لنا بهم علاقة مباشرة ، ولكنها هى المساهمة الإيجابية التى قدمها الإنسان لأخيه الإنسان من أجل رفاهيات وسعادة جميعنا يسعى لبلوغها . وقد يكون من الغريب حقا ؛ أن يتعود الإنسان على قبول العطاء على المستوى العلمى بل ويمجده ؛ بينما نجد هذا الإنسان يقف - فى نفس الوقت - ويغلفه الجمود والتعصب ، ولا يقنع بأى عطاء على المستوى الدينى فحسب ، بل يرفضه أيضا رفضا قاطعا فى أغلب الأحيان ، هذا إن لم يكن فى كل الأحيان !!..

ومن الغريب حقا ؛ أنة على الرغم من التقدم العلمى والتقدم التكنولوجى الذى أحرزه الإنسان فى كل المجالات تقريبا ، وكذلك تحسن إدراكات الإنسان بدرجة ملحوظة وفهمه الآن للنظريات العلمية الكبرى التى قاربت أن تدخل ، أو دخلت فعلا ، جذورها ونتائجها فى حيز الفكر الغيبى ، أو ما يسمى بحيز الخيال العلمى ، إلا أننا نجد أن هذا الإنسان يقف ويغلفه العجز الكامل والحيرة الشديدة أمام " القضية الدينية " ، حيث ما زال الإنسان مترددا بين قبولها على إنها " قضية حقيقية " فعلا ، أم إنها مجرد " قضية وهمية من صنع خيال الإنسان وفكره " تعكس ضعفه المتناهى أمام هذا الوجود الغير متناهى . أو أن " الدين " هو المحاولة المبذولة من جانب الإنسان لتبرير وجوده الغير مدرك ، فى هذا الوجود المدرك والغير مدرك معا ..!! أو أن " الدين " هو الإضطراب النفسى أو الإضطراب الباطنى للإنسان الناتج ، عن وعيه لنفسه - ككائن متميز ومختلف عن الطبيعة المحيطة به - وبنهايته التى يحدها الموت ، وعن الضغط الواقع عليه نتيجة غريزة حب البقاء التى تفرض عليه التمسك بهذا الوجود .

وعلى الرغم من أنه يمكن إعطاء الإنسان بعض الحق في هذا الموقف من الدين ، نظرا للميراث الديني الذي خلفته له التجربة الدينية المريرة والفاشلة - معا - والتي خاضها مع الأديان الوثنية والموجودة الآن على ساحة الفكر البشرى ، وتناقضها الصارخ مع ما انتهى إليه الإنسان من منطوق علمي ثبت صلاحياته بشكل مطلق على مر حضارات الإنسان وعلمه . إلا إن هذا لا يعطى الإنسان العذر الكافى أو المبرر المعقول فى أن يغلق الطريق أمام نفسه نحو المعرفة الدينية الصحيحة فى هذا الإتجاه ، وهو أحوج ما يمكن لها لإدراك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، وما سيؤول إليه من مصير . إننا - معشر الإنسان - شركاء فى هذا الوجود ، ولقد تشابكت أيدي الجميع للبحث عن الحقيقة المطلقة بمعناها الشامل ، ولكن اقتصر هذا البحث - حتى الآن - على ظاهر محدود فقط من هذه الحياة الدنيا ، لهذا أصبح لزاما علينا - مع التطور الحالى - أن نخطوا الخطوة التالية لتتعدى ذلك الظاهر المحدود إلى الواقع الغير محدود من هذا الوجود ، ولنتجه معا للبحث عن الوجود المطلق بعقل متفتح ورؤية كلية بعيدة عن التعصب والاستغلاق الفكرى ، خصوصا بعد أن تحسن ما لدينا - كثيرا - من إدراكات جعلت من رؤيتنا للطبيعة أكثر شمولية وموضوعية عن ذى قبل .

إن " الوجود المطلق " ، كما سنرى حالا ، لا يمكن أن يعبر عنه إلا " القضية الدينية " . والقضية الدينية - كما سنرى - ليست " قضية غيبية " على الإطلاق ، كما نشأنا على الاعتقاد الزائف فى هذا ، بل هى - فى الواقع - " قمة قمم القضايا العلمية " ، وليس هذا فحسب ، بل هى " قمة قمم القضايا اليقينية 1 " أيضا ، بالمفهوم الحرفى والكامل لهذا المعنى ، حيث يكون الإنسان فيها - أى فى القضية الدينية - حاضرا ومستقبلا ، وجودا ومصيرا ، علما وفيزياء ، أرضا وكونا 2 ... إلى آخره ، جزئية صغيره من واقع تضمنه هذه القضية الكلية .

1 " اليقين " هو العلم الذى لا يحتمل الشك ، وبالتالي فإن " القضية اليقينية " هى قضية صحيحة صحة مطلقة ، بينما " القضية العلمية " ، فهى قضية صحتها دائما " معلقة " بعدم إكتشاف ظواهر جديدة لا تحققها القضية العلمية المعنية . فإن وجدت مثل هذه الظواهر التى لا تحققها " القضية العلمية " ، أصبحت " القضية العلمية " فى هذه الحالة قضية صحيحة صحة جزئية ، وليست صحة مطلقة . والأدلة على هذا فى مجال الفيزياء التطبيقية متعددة نذكر منها على سبيل المثال الحكم على النظرية الذرية لـ " نيلز بوهر " ، والذى جاء بعدم الدقة ، وذلك بعد صدور هذه النظرية (أو هذه القضية) بحوالى عشر سنوات من ظهورها (انظر الحكم فى صفحة 457 من هذا الكتاب) .

2 كلمة " علم " لها مدلول أعم وأشمل من مدلول كلمة " فيزياء " ، فالعلم يشمل الفيزياء وغير الفيزياء . وكلمة " الكون " تشمل جميع صور الطاقة ، والكواكب والنجوم والمجرات والكوازارات والنقوب السوداء .. والمادة السوداء .. إلى آخره .

وبادئ ذي بدء ؛ لابد لى وأن أؤكد على أن : " القضية الدينية " ليست " قضية صراع بين حضارات مختلفة " ، وهى أيضا ليست " قضية صراع بين أيديولوجيات 3 مختلفة " ، كما وإنها ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها . وهى أيضا ليست " قضية سياسية " لكسب أتباع ما أو أرض ما . ولكنها فى الواقع ؛ هى " قضية وجود الإنسان نفسه ومصيره هو " . ذلك الإنسان العاجز الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيوخة ، هذا إن لم يدركه الموت قبل هذا ، ليغادر هذه الحياة إلى اليقين الكامل .. ليقف وجها لوجه - بحواسه كاملة - أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، إذا لم ينتبه إلى المعنى الحقيقى للقضية الدينية ، لأنه بهذا سوف تفوته الفرصة الوحيدة - أثناء حياته الأرضية - لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، كما لم يدرك الغايات المطلقة من وراء وجود هذا الوجود !!..

إنه لم يعد من المقبول منطقيا الآن ، ونحن نقف فى بداية القرن الواحد والعشرين ، وبعد أن وصلنا إلى كل هذا الكم التراكمى من العلم فى جميع فروع ، كما لم يعد يفصل بيننا وبين النظريات الشمولية الآن إلا خطوة واحدة أو بضع خطوات قصيرة أو شكنا أن نقطعها ..!! لم يعد من المقبول منطقيا بعد كل هذا ، أن نقف تجاه الدين هذه الوقفة التى تتسم بالبداية والبعد عن الواقع والنظرة القاصرة ، بدون الدراسة الكافية التى تنتهى بنا إلى الأحكام القاطعة بشأن هذه القضية الهامة . أو أن نقف هذه الوقفة القاصرة من الدين بدون الاستفادة من القوانين العامة التى انتهينا إليها ، والتى يمكن أن تعاوننا بشكل مباشر فى أن نقول الكلمة الفصل فى هذه القضية المصيرية بالنسبة للإنسان ووجوده ..!!

صحيح إنه يجب علينا الاعتراف بأن الحائل الوحيد الذى يعوق بلوغنا إدراك المعنى الحقيقى للدين هو قصور الفكر فى هذا الاتجاه ، إلا إن هذا ليس عذرا كافيا أو مبررا معقولا فى أن نقف مكتوفى الأيدى عن الكف فى بذل المحاولات الكافية لإستكمال هذا النقص المعرفى فى هذا الاتجاه بشتى الوسائل . بل يجب علينا أن نولى موضوع الدين ، العناية الكافية من ناحية الدراسة الحرة بدون الحساسيات التى يمكن أن تفرضها علينا الوراثة الدينية أو كهنة العقيدة .

3 الأيديولوجية (Idiology) : هى مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية . أو هى طريقة (أو محتوى) التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة . أو هى الأهداف المتكاملة التى تشكل قوام برنامج سياسى إجتماعى لأى مذهب .

إن رفض الإنسان لقبول مبدأ إخضاع " فكر العقيدة للفكر العلمي السائد 4 " ، حتى يمكن الوصول إلى الحكم القاطع فيها ، يجعل من الإنسان هو ذلك الأحمق الذى تصل به درجة الحمق المحلى وقصور الفكر .. إلى الحد الذى يجعله يطعن نفسه بنفسه .. ويهلك نفسه بنفسه .. بدون أن يعى .. وبدون أن يدرك ماذا يفعل !!!

إن الأمانة العلمية تقضى ، كما تقضى علينا الأخوة البشرية أيضا ، وكما يحتم علينا ذلك أيضا " الله " (I) 5 ، أن نمد يد العون إلى بعضنا البعض فى جانب العقيدة ، كما مددناها إلى بعضنا البعض فى جوانب العلوم والمعارف الأخرى . كما يجب أن نقف من بعضنا البعض موقف صدق ، تكون فيها التبصرة غايتنا .. والمصارحة فيها منهاجنا .. وتوعية بعضنا البعض هدفنا ، وذلك قبل فوات الأوان ، وضياح الفرصة الحقيقية للمعرفة ، حيث يكون الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .. هو ذلك الإنسان ، الظلوم لنفسه ، الجهول بحقيقة وجوده ، والذى جاء إلى هذا الوجود ولم يحقق الغايات من هذا المجيء !!!

وفى الحقيقة ؛ يمثل هذا الكتاب المحاولة المبذولة لوضع النقاط على الحروف بالنسبة للقضية الدينية ، وبحثها ومناقشتها بنفس الأساليب المتبعة فى المناهج الفيزيائية والطرق التجريبية المتعارف عليها والمؤكد صلاحيتها وصدقها المطلق ، وصحة استنتاجاتها على مدى تقدم علم الإنسان وحضاراته .

وهنا ينبغى أن أشير إلى أن بحث " القضية الدينية " من منظور مطلق ، وليس من منظور نسبي ، أو من منظور ديني مقارن ، يفرض علينا اللجوء إلى فرض " مُسَلِّمات أساسية : **Essential Postulates** " يفترض صحتها ، أو حتى خطأها (فهذا لا يهم) ، ولا يقام على هذه المُسَلِّمات البرهان بشكل مباشر ، ولكن يتم البرهنة عليها من خلال ما تودى إليه من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق .

4 سوف نرى - فى هذا الكتاب - أن " الفكر العلمى السائد هو الذى سيخضع لفكر العقيدة " وليس العكس ، وذلك بلا أدنى تضحيات عقلية ، أو منطقية . بمعنى أننا سوف نجد أن " القضية الدينية " هى " القضية العلمية الكلية " بينما نجد العلم بمفهومه الحالى هو " القضية العلمية الجزئية " . أو أن العلم هو أحد النتائج الجزئية والحتمية التى تقررها القضية الدينية العامة .

5 حول معنى لفظ الجلالة " الله " ، وموقف الكنائس العربية من هذا الإسم .. أنظر : الملحق الخامس من هذا الكتاب .

فينبغي أن نعرف أنه لا يمكن بناء " أى نظرية " ، بدون اللجوء إلى فرض المُسلِّمة أو المُسلِّمات الكافية ، والفروض (Hypotheses) الأساسية التى تقوم عليها أو تؤسس عليها هذه النظرية . ولا بد لنا أن نعرف أن المُسلِّمات الأساسية - فى أى نظرية - لا يقام عليها البرهان بشكل مباشر ، بل يقام عليها البرهان بشكل غير مباشر . وذلك بالنظر فيما تودى إليه هذه المسلمات من نتائج . ومن واقع اختبار صحة هذه النتائج يتم الحكم على صحة المُسلِّمات نفسها . فإن صحت نتائج المُسلِّمات صحت المُسلِّمات نفسها ، أى إننا نكون قد أقمنا الدليل بذلك أو البرهان على صحتها وصدقها . وإن بطلت النتائج التى تودى إليها المُسلِّمات ، بطلت المُسلِّمات نفسها ، أى أننا نكون قد أقمنا الدليل بذلك أو البرهان على بطلان هذه المُسلِّمات . كما ينبغى أن ننبه إلى أنه : ليس القيمة فيما يفرض من المُسلِّمات ، بل القيمة فيما تودى إليه هذه المُسلِّمات من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق للثبوت من صحتها وصدقها .

وليس فى هذا أى تجاوز علمى ، فالأمثلة الدالة على هذا المنهاج ، وصحة استخدامه ، كثيرة فى مجال الفيزياء العامة ، بل وفى كبرى النظريات العلمية فيها . فعلى سبيل المثال نجد أن :

" النظرية النسبية الخاصة : **The Special Theory of Relativity** " تقوم على مسلمتين أساسيتين 6 هما :

المُسلِّمة الأولى : وهى التى تقول بأن سرعة الضوء هى سرعة ثابتة بالنسبة لجميع الأنظمة القصورية " **Inertial Frame of References** " وهى سرعة لا تتأثر بحركة المصدر أو المستقبل (وهذا يعنى أن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة مصدر الضوء ، كما لا تتأثر بحركة الشخص الملاحظ لها) .
أما المُسلِّمة الثانية : فهى تقول بأن القوانين الطبيعية أو الفيزيائية ، أو المعادلات الرياضية الدالة عليها واحدة لجميع الأنظمة القصورية ، بغض النظر عن سكونها أو حركتها المنتظمة فى خط مستقيم .

6 بديهى - هنا - لا يهم فهم هاتين المسلمتين للإستمرار فى قراءة هذا الكتاب . فالمقصود من ذكرهما هنا فقط ، هو بيان أن النظريات الفيزيائية الكبرى تستند إلى مسلمات لا يتم البرهنة عليها بشكل مباشر ، على النحو السابق ذكره . بل يتم البرهنة على صحة هذه المسلمات من خلال ما تقدمه إلينا من نتائج صحيحة قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق .

واستنادا إلى تلك المُسَلَّمَتَيْن ، فقد تم استنتاج مجموعة من القوانين الفيزيائية الأساسية ، والتي أمكن التحقق من صحتها معمليا وتطبيقيا . نذكر منها على سبيل المثال ؛ معادلة آنشتين الشهيرة التي تربط بين كتلة الجسم والطاقة الكلية الكامنة في هذه الكتلة ، والتي تقول بأن : **[طاقة الجسم = كتلة الجسم × مربع سرعة الضوء]** . ولما تحققت فعلا صحة هذه المعادلة معمليا وعمليا ، فإننا نكون - في الواقع - قد أقمنا الدليل ، أو البرهان ، على صحة وصدق هاتين المُسَلَّمَتَيْن الأساسيتين . وهذا هو عين المنطق المستخدم في هذا الكتاب .

فإذا أردنا أن نناقش الدين بمفهوم النظريات الفيزيائية السابق ذكرها ، فلا بد لنا أن نفترض مسلمة ما أو عدة مسلمات أساسية ، ثم نشرع في السير لنرى ما تؤدي إليه هذه المسلمات من نتائج . ثم علينا ، بعد ذلك ، أن نختبر مدى صحة وصدق هذه النتائج بكل الوسائل . وبديهي إن صحت النتائج صحت المسلمات المفروضة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمات المفروضة . وبديهي ليس في هذا أدنى تجاوز علمي ، كما سبق وأن بينا .

واستكمالا لتطبيق هذا المنهج العلمي لابد لنا وأن نؤكد على أنه : كما لا يمكن الجمع بين المتناقضات في القضية العلمية ، فكذلك لا يمكن الجمع بين المتناقضات في القضية الدينية . على اعتبار أن الأخيرة (أى القضية الدينية) سوف تخضع لنفس القواعد والأسس والمعايير التي تخضع لها القضية العلمية .

واستنادا إلى هذا الفكر المتقدم ، فقد تم تطبيق هذا المنهج العلمي أو المنهج التجريبي - في هذا الكتاب - على حشد من الديانات الأساسية والموجودة الآن على الساحة البشرية . وكان على الكاتب ، إختيار أحد الأنظمة الدينية (أى دين ، بلا أدنى حساسيات أو تعصب ما) 7 ، ثم نفترض فيه الصحة أو حتى الخطأ . فهذا لا يهم . وذلك كمسلمة أساسية أولى ، ثم نشرع في بحث ما تؤدي إليه هذه المسلمة من نتائج . ثم نقوم باختبار هذه النتائج بشتى الطرق ، فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . ثم نكرر هذا بالنسبة لباقي الأنظمة الدينية الأخرى .

7 من المهم أن نشير هنا ، إلى أن المسلمات الأساسية التي تفرض في " النظريات العلمية " لا تأتي من فراغ ، بل عادة ما تكون لها جذور في أرض الواقع . فقد تشير الخبرة اليومية - مثلا - إلى صحتها ، أو قد يكون هناك بعض الدلائل - مثلا - التي توحي بأنها صحيحة . كما سبق وأن رأينا في المسلمات الخاصة بـ " النظرية النسبية الخاصة " .

وبناء على هذا ، فإن فرضية أساسية أو مسلمة أساسية تقول مثلاً بأن : " **الديانة الإسلامية هي ديانة صحيحة** " لن يزيد قبولنا لها عن معنى " **القبول المعلق** " ، بمعنى أن قبولنا النهائي لهذه المسلمة سوف يتوقف على مدى إختبارنا لصحة ما تؤدي إليه هذه المسلمة من نتائج . فإن صحت النتائج التي تؤدي إليها هذه المسلمة صحت المسلمة نفسها أى أن " **الديانة الإسلامية هي ديانة صحيحة** " فعلا ، وإن بطلت النتائج التي تؤدي إليها هذه المسلمة بطلت المسلمة نفسها ، أى أن " **الديانة الإسلامية هي ديانة باطلة** " . وليس فى هذا أى تجاوز منطقى أو تجاوز علمى أو فكرى كما سبق وأن ذكرنا . وبديهى سوف نطبق نفس هذه المبادئ على الديانات الأخرى ، ثم نجرى عليها نفس الإختبارات السابقة .

وسوف أكرر القول بهذا الفكر مرارا على طول هذا الكتاب ؛ حتى لا ينسى القارئ ما يدور فيه من فكر علمى من جانب ، وحتى لا يعتقد خطأ بأن هناك تسليم أعمى بالمسلمة المفروضة بدون إخضاع نتائجها إلى الإختبار الصارم والتجربة القاطعة ، حتى يمكن القطع بصحتها . ولأننا إذا لم نعمل هذا ؛ لا نفقد " **لل قضية الدينية** " معناها فحسب ، بل يصبح " **الدين** " أيضا هو " **قضية إيمان** جزافى أو إيمان إعتباطى " يعوزه البرهان اللازم لتأكيد صحته وصدقه ، وبهذا **يفقد هذا الكتاب مصداقية عنوانه ، كما يصبح كتاب بلا هدف** .

وبديهى أن مثل هذا المنهج العلمى ، يستلزم عرض الأنظمة الدينية على نحو كلى وشامل (**Global**) ، حتى تسهل معه (أى حتى يسهل مع هذا العرض) الرؤية الكلية والموضوعية للنظام الدينى ككل على نحو واضح ومتكامل . وبذلك يمكن رؤية ما يقدمه الدين من فكر مباشر للبشرية . ولهذا فقد تجنب هذا الكتاب أى مناقشات فلسفية تقول بها العقيدة تجنباً للتشتت الفكرى من جانب ، وحتى يكون الكتاب أكثر موضوعية وتركيزاً من جانب آخر . فعادة ما تؤدي المناقشات الجانبية لفلسفات الديانات إلى تسرب الحقيقة أو حتى إختفائها عند الإستغراق الكامل فى هذه المناقشات الفرعية لتلك الفلسفات . كما يمكن أن تحجب مناقشة هذه الفلسفات فكر العقيدة نفسه عن العين غير المتخصصة . لذا فإن العرض العقائدى فى هذا الكتاب هو عرض موضوعى وعلمى إلى أقصى درجة ممكنة .

وقد بدأ هذا الكتاب بالفصل الأول الذى يشرح فيه المؤلف بعض الإعتبارات الأساسية فى مناقشة الفكر الدينى ومفهوم التبشير كما نألفه فى حياتنا اليومية . كما يشرح المؤلف **الدوافع من وراء ظهور هذا الكتاب** ، وذلك من خلال تجربته دينية وعلمية مباشرة عاشها المؤلف على مدار سنوات طويلة وممتدة فى مجالات متشعبة ومتباينة من العلم والدين والفلسفة .

أما **الفصل الثاني** فهو يستعرض رحلة الفكر الإنساني في محاولته لتعريف الدين ، كما يتعرض للمفهوم الحالى للدين من خلال المنظور الإنساني له (وليس من المنظور الإلهي) . وهو مفهوم - كما سنرى - قاصر ومحدود للغاية ، بل وسوف نرى أن التعريفات الحالية للدين تسمح بتسرب الأديان الوضعية والأديان الوثنية من خلالها لتحتل مكانا طبيعيا جنبا إلى جنب مع الديانة الصحيحة . لذا لزم إعادة صياغة " تعريف الدين " بمفهوم أكثر دقة عن ذى قبل ، حتى لا يسمح - هذا التعريف - بتسرب مثل هذه الديانات الوثنية من خلاله . كما تم وضع الحد الأدنى من الشروط الواجب توافرها فى الديانة ، لكى تكون صحيحة وبأنها وحى إلهى قادم - حقا - من السماء . وبالتالي نستطيع - الآن - الحكم وبشكل قاطع على الأديان الموجودة على الساحة البشرية من حيث صحتها أو بطلانها .

وفى هذا الفصل أيضا ، تم الإنتهاء إلى أن " القضية الدينية " هى " قضية علمية كلية " بكل ما فى هذه الجملة من معنى . كما وإنها (أى القضية الدينية) ليست " قضية غيبية " ، كما نشأنا على الإعتقاد الزائف فى هذا ، بل هى " قضية يقينية " يمكن إخضاعها لثنى فروع المناهج العلمية والتجريبية المألوفة لدينا لبحثها إلى أى درجة مطلوبة من الدقة ، والحكم عليها بشكل قاطع ، شأنها فى ذلك شأن أى قضية علمية أخرى . وبديهي سوف تعتمد البراهين المقدمة على المسلمات المفروضة ، أما الحكم على صحة المسلمات نفسها فسوف يعتمد على النتائج النهائية المستنتجة منها ، وهذه النتائج هى التى سوف تخضع للإختبار لبيان مدى صحتها .

كما يناقش هذا الفصل أيضا " ظاهرة تعدد الأديان " ، ويقول الإنسان لهذه الظاهرة على إنها جزء من الفطرة البشرية . وسنرى أن " فطرتي : التدين ، وإدراك وجود الله " ، وكذا عمليات " غسل المخ الجماعية " التى يجريها كهنة العقيدة على الأتباع والشعب ، هذا إلى جانب " عدم فهم دور الدين فى حياة الإنسان " ، وكذا " إنكار دور العقل فى البرهنة على صحة العقيدة " ، هى العوامل الخمسة الحاسمة التى أدت إلى وجود مثل هذه الظاهرة . كما يتعرض هذا الفصل أيضا إلى موقف المناهج التجريبى فى العصر الحديث ، وكذا موقف مدارس علم النفس من " القضية الدينية " . وسيرى القارئ إلى أى مدى التخبط الموجود فى تحديد العلاقات بين هذه المناهج وبين القضية الدينية . وسوف يناقش هذا الفصل أيضا أهم البراهين الدالة على وجود الله ، والتى جاء بها الفكر البشرى ، والبراهين المقابلة لها كما يجيء بها الفكر القرآنى . كما ناقش هذا الفصل - أيضا - باختصار بعض الديانات الموجودة الآن وما تقدمه من فكر للإنسان .

أما **الفصل الثالث** فهو يعرض للتجربة البشرية مع الديانتين اليهودية والمسيحية تخصيصا ، وبدون أى فلسفات وكما يقول بها أهل العقيدة . وهو عرض تجريدى وكلى إلى أبعد مدى . وسيرى القارئ جيدا ما تحويه هذه الديانات من مضامين قد خلفت المرارة للإنسان ، وحدث به نحو الإبتعاد عن الدين والتدين على نحو مطلق . وقد ناقش هذا الفصل حقيقة الأنبياء ، والنصوص المقدسة ، والفكر الإلهى ، كما تقدمت تلك الديانتين ، من واقع فكر الكتاب المقدس وكما يؤمن به أهل العقيدة .

أما **الفصل الرابع** فهو يناقش رد الفعل الدينى لدى العلماء والفلاسفة والمفكرين ، لما سببته لهم هاتين الديانتين (اليهودية والمسيحية معا) من رد فعل سىء حول مفهوم الدين . وكذا مسئوليتهما الحقيقية عن إبتعاد الإنسان أو عزوفه عن الدين والتدين بوجه عام .

ولبيان عجز العقل البشرى وما يقدمه من حلول بديلة ، حول قضايا وجود الإنسان ومصيره ، لزم تلخيص الفلسفة البشرية على نحو كلى وشامل منذ نشأتها منذ فجر الحضارة البشرية ، وحتى الفلسفات المعاصرة . أو بمعنى آخر تقديم الفلسفة البشرية كاملة فى جرعة مكثفة ، حتى يتبين لنا جيدا بأن الفلسفة لم تقدم للبشرية فكرا يذكر عن الدين ، أو التدين ، أو الله ؛ بل وقفت - الفلسفة - عاجزة عجزا كاملا أمام هذه القضايا المصيرية بالنسبة للإنسان .

كما تم مناقشة أهم الأديان الأخرى ، على طول الكتاب ، والموجودة - الآن - على ساحة الفكر البشرى مثل الديانة البوذية ، والهندوسية ، والزرادشتية ، والطاوية .. وذلك باختصار شديد جدا ، ولكنه - مع ذلك - يكفى للإلمام الكامل بهذه العقائد ، وما تقدمت هذه الأديان من فكر للإنسان . كما يحوى الكتاب أيضا ستة ملاحق غير الخاتمة . وهى ملاحق ضرورية لإستكمال الإتصال الفكرى فى العرض . ثم ينتهى الكتاب بالحقيقة المطلقة عن وجود الله حقا وصدقا ، وعن وجود الدين حقا وصدقا ، بالبراهين العلمية القاطعة والتي لا تقبل معها أى شك .

هذا وقد تم توخى الدقة فى كتابة هذا الكتاب إلى أبعد الحدود ، وذلك لما تمليه الأمانة العلمية ، والدقة المطلوبة فى مثل هذه الكتابات . ولهذا كان لا يتم الاستشهاد إلا بالمصادر المعتمدة ، والموسوعات العلمية والمراجع الموثوق بها فقط . وأحيانا كان يلزم التأكد من وجود المعلومة فى أكثر من مصدر حتى يمكن كتابتها هنا ، وخصوصا إذا ما كانت المعلومة تاريخية وذات حساسية خاصة .

كما بذلت قصارى جهدي ، لكي أجعل هذا الكتاب مكتفيا بذاته (self-contained) ، بمعنى أنه لا حاجة للقارئ لأن يلجأ إلى الخروج منه إلى كتاب آخر ، لإستكمال سياق مطرد أو غير مطرد فيه . مع توحى الإيجاز الشديد - فى العرض - ما استطعت حتى أتجنب الإطالة على القارئ ، من جانب ؛ وحتى أتجنب احتمال ضياع الحقيقة عند مناقشة فلسفات لا لزوم لها ، من جانب آخر . وقد إنعكس هذا وذلك على كثرة التذييلات الواردة بالكتاب ، حتى بلغت ستمائة واحد وثلاثين تذييلا (فى هذه الطبعة 8) ، بين مصدر وتعليق ونقد . كما يلزم الإشارة هنا إلى أنني - فى أحيان قليلة جدا - فضلت تكرار بعض النصوص (ثلاث أو أربع مرات على الأكثر) عن الإشارة إليها فى صفحات سابقة ، حتى لا اقطع إتصال فكرى مستمر إستكمالا لرؤية متكاملة لبرهان هام ، أو لتأكيد فكرة ما من منظور مخالف لما سبق عرضه .

وقد أعد هذا الكتاب ليكون مرجعا لكل من يهمله الأمر لمعرفة وجوده ومصيره بشكل قاطع ومحدد . كما كتب هذا الكتاب ليخدم كلا من القارئ العادى ، والقارئ الدارس ، وكذا القارئ المتخصص فى برامج مقارنة الأديان ، كل على حد سواء .

كما يجب أن يفهم ؛ أن هذا الكتاب ليس " كتاب فلسفة " ، أو " كتاب أدب " ، كما وأنه ليس " كتاب يمثل وجهة نظر شخصية فى الدين " ؛ بل هو " كتاب علم " بكل ما تحوى هذه الجملة من معنى عريض لها . فهو " كتاب علم " يحسم وبشكل قاطع المعنى الحقيقى " للقضية الدينية " ، أو هو ببساطة " كتاب علم " يحسم الحقيقة المطلقة عن : " الله .. والدين .. والإنسان " .

ثم تبقى كلمة أخيرة ، وهى أن هذا الكتاب هو - فى الواقع - نتاج عمل مضمّن ومتصل لسنتين طويلة ، لبحوث علمية ودينية وفلسفية فى غاية من التنوع والتباين ، قام بها شاردي فى أدغال العلم ، شاء له الله (Y) أن يعثر على الحقيقة ، فعاد بها وهو موقن من أنه قد حسم أمر القضية الدينية ..!! فشرع يكتب هذا الكتاب ، وهو يملؤه الحزن والأسى .. على ذلك الإنسان .. الظلوم لنفسه الجهول بحقيقة وجوده ..!!

شرع يكتب هذا الكتاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى يستهويه الغموض بوعى منه أو بدون وعى ، والذى يستعذب أن تكون الحياة لديه لغزا أبديا لا يستطيع حله ، والذى تأخذ العزة

بالجهل إذا ما عثر على صَدَفَة (a shell) .. فيعتقد أنه قد أدرك شيئاً ..!! أو يعتقد أنه هو الذى صنع هذه الصَدَفَة (The Shell) ..!!

شرح يكتب هذا الكتاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى لا يريد أن يدرك أن رحلة حياته عبارة عن طريق واضح المعالم يملؤه النور .. بدايته نور .. وأوسطه نور .. ونهايته نور .. وطريقه لا يحوى حتى الظلال .. ولا لبس ولا غموض .. ولا يوجد أدنى توضيحات عقلية فيه . ومع ذلك فهو يصر - بوعى منه أو بدون وعى - على أن يغمض عينيه دون كل هذا النور .. ثم يصرخ مدعياً أنه لا يرى هذا النور ..!!

شرح يكتب هذا الكتاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى لم ولن يدرك إنه الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .. إذا لم يدرك حقيقة وجوده .. وحقيقة وجود هذا الوجود .. لأن الحقيقة المطلقة فى أنتظاره ، عند أول منعطف من طريق حياته هذا .. وهو ملاقيها .. شاء هذا أم أبى ..!! وسيدرك فى ذلك الحين - إن لم يع هذه الحقائق - أنه لم يحقق الغايات من خلقه ..!! وأن عليه أن يدفع الثمن عن كل هذا ..!!

II

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110))
(القرآن المجيد : التوبة {9} : 109-110)

Ω